مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ تيموثاوس ٣:١٠–١٥)

يا ولدي تيموثاوسَ إنَّك قد استقريتَ تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبَّتي وصبري* واضطهاداتي وآلامي وما أصابني في إنطاكية وإيقونية ولِستَرة. وأيَّةَ اضطهاداتٍ احتملتُ وقد أنقذني الربُّ من جميعِها* وجميعُ الذينَ يريدونَ أن يعيشوا بالتقوى في المسيحِ يسوعَ يُضطهَدون* أمَّا الأشرارُ والمُغوونَ من الناسِ فيزدادونَ شرًّا مُضِلّينَ ومُضَلّين* فاستمرَّ أنت على ما تعلَّمتَه وأيقنتَ به عالماً ممَّن تعلَّمت* وأنَّك منذ الطفوليّةِ تعرفُ الكتبَ المقدَّسةَ القادرةَ أن تُصيِّركَ حكيماً للخلاصِ بالإيمانِ بالمسيحِ يسوع.

التقوى

يحدثنا النص الإنجيلي الذي يُتلى على مسامعنا اليوم عن الصلاة. وهو يطرح هذا الموضوع من زاوية ارتباطه بنمط حياة المصلّي، ذلك أن حياتنا تنعكس على صلاتنا وصلاتنا تؤثّر على مجرى حياتنا. وبصورة أدقّ يطرح إنجيل اليوم مسألة المصلّي «التقي».

الرسول بولس يتطرّق إلى موضوع التقوى في رسائله فيقول لتلميذه تيموثاوس: «عظيمٌ هو سِرُّ التَّقوى» (١ تي ٣: ١٦) ويحثّه على التقوى بقوله: «روِّضْ نفسَكَ للتَّقوى، لأنَّ الرياضةَ الجسديَّةَ نافعةٌ لقليل ولكنَّ التَّقوى نافعةٌ لكلِّ شيءٍ إذ لها موعدُ الحياةِ الحاضرةِ والعتيدةِ» (١ تي ٤: ٧–٨). كما نراه يطلب «أن تُقام طلباتٌ وصلواتٌ وابتهالاتٌ وتشكُّراتٌ لأجلِ جميع الناس. لأجلِ الملوكِ وجميعِ الذينَ هم في مَنصِبٍ لكي نقضيَ حياةً مطمَئِنَّةً هادئةً في كلِّ تقوى ووَقار» (١ تي ٢: ١–٢). هذا وقد ورد في العهد القديم عن الذين يتقون الرب ما يلي: «إنّي أعلَمُ أنَه يكونُ خيرٌ للمُتَّقينَ اللهَ الذينَ يخافونَ قدَّامَهُ» (جامعة ٨: ١٢)، و«طوبى لكل مَن يتّقي الرب ويسلك في طرقه» (مز ١٢٨: ١).

ولكن ما هي التقوى؟ من المحزن أن البعض يسيء فهم المعنى الحقيقي للتقوى فينحرف بها إلى ممارسات خارجية بعيدة كل البُعد عن مضمونها. فيبدأ هذا البعض بالمثابرة الميكانيكية والحرفيّة على الصلاة لتتحوّل إلى حالة مرضيّة يتم التعبير عنها بمظهر جسدي نخرج به على الناس لنقول إننا على علاقة جيدة بالله. ويتّسم هذا المظهر بأنه يتحوّل لغةً للجسد عبر انحناء بسيط للرأس وارتفاع قليل للكتفين وحركة خفرة لليدين ونبرة منخفضة للصوت وشيء من ابتسامة بالكاد تكتشفها إن حدّقت في الوجه المتوشح بمسحة حزن تحاول أن تعبّر عن توغّل صاحبه في وقار الفضيلة وسمو الروح. ويذهب هذا البعض إلى إعطاء معنى إضافي للتقوى ألا وهو الخوف بحيث أن مَن يتّقي الله يخاف منه، وهكذا نجعل من الخالق الذي لإفراط محبته أرسل ابنه الوحيد ليموت في سبيل خلاصنا، نجعل منه إلهاً منتقماً بطّاشاً.

العدد ٢٠١٠/٤

الأحد ٢٤ كانون الثاني

أحد الفريسي والعشار

تذكار أمّنا البارّة أكساني

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الحادي عشر

الإنجيل

(لوقا ١٨: ١٠-١٤)

قال الربُّ هذا المَثَل: إنسانان صعِدا إلى الهيكلِ ليصلّيا أحدُهما فرّيسيٌّ والآخرُ عشَّارٌ* فكان الفريسيُّ واقفاً يصلّي في نفسهِ هكذا أللَّهمَّ إنّي أشكرُكَ لأنّي لستُ كسائر الناسِ الخَطَفةِ الظالمين الفاسقين ولا مثلَ هذا العشّار* فإنّي أصوم في الأسبوعِ مرَّتين وأُعَشِّرُ كلَّ ما هو لي* أمَّا العشّارُ فوقفَ عن بُعدٍ ولم يُرِدْ أن يرفعَ عينيه إلى السماءِ بل كان يقرَعُ صدرَهُ قائلاً أللَّهمَّ ارحمني أنا الخاطئ* أقول لكم إنَّ هذا نزلَ إلى بيتهِ مُبرَّراً دون ذاك. لأنَّ كلَّ مَن رفعَ نفسَهُ اتَّضع ومَن وضعَ نفسَهُ ارتفعَ.

تأمل

ان الخطيئة تسبب الحزن لجميع النفوس. والحزن الذي يلي الخطيئة لا ينبع من منابع واحدة ولا يتأتى من دوافع واحدة. يحزن المرء لتكبره. إنه يتخيل نفسه فوق ما هي وعندما

هذه الحلقة المفرغة تقود صاحبها إلى الهروب من العالم لإدانة الناس، كل الناس، على كل تصرّفاتهم ونعتهم بالخطأة كما فعل الفريسيّ في إنجيل اليوم. (هكذا هي الأصولية الدينية، تبدأ بهجرة المجتمع لتكفّره ثم لتشعل عليه حرباً دموية، تصب من خلالها الحقد والموت). لم ينظر هذا الفريسيّ، الذي صعد إلى الهيكل ليصلّي، إلى خطاياه هو بل نصّب نفسه ديّاناً مكان الله ونعت العشّار بالخاطئ. ليس الهدف مما نقول الإدانة إنما التمييز بين ما ينحرف إليه البعض وبين المعنى الحقيقي للتقوى فنسعى إليه ليتحوّل إلى مناخ تنمو فيه صلاتنا.

لا تقاس التقوى فقط بمظاهر العلاقة مع الله، إنّما بالمفاعيل الملموسة لعلاقة الإنسان بالآخرين «إتّقِ الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كلّه» (جامعة ١٢: ١٣). علينا أن نثبت تقوانا من خلال تصرّفاتنا مع الآخرين ومحبّتنا لهم.

لا يمكن لإنسان أن يكون تقيًّا دون أن تنعكس التقوى على حياته فرحاً. ولا يعني الفرح هنا البشاشة الدائمة ولا المرح. الفرح الذي هو ثمرة الإيمان يثبّت المؤمن ويعطيه قوة داخلية وسلاماً. ينعكس فرحه على الآخرين من حوله فيشع السلام والبساطة. يُفرحهم بفرحه.

التقي إنسان متواضع. والتواضع ليس الذل، إنما هو تغليب محبة الآخر على حساب ما نراه صواباً في موقفنا وآرائنا. وهذا لا يعني المداهنة والمجاملة بل هو إقامة الرحمة فوق القانون، والمحبة قبل ما نستصوبه من موقف. التواضع هو تجاوز الحدود العادية محبّة بالآخر. الفريسيّ في إنجيل اليوم هو صورة كل مؤمن يصلّي ولكنه يعتبر نفسه أفضل من الذين حوله، وهذا قمة التكبّر وبداية السقوط في الهاوية.

التقي إنسان معطاء كريم. يحاول أن يرفع الألم عن الآخرين. التقوى هي علاقة مسؤولية مع الآخرين وليست مجرّد مظاهر. مصداقيّتها تمتحن بالعطاء، والعطاء بسخاء تعبيراً عن المحبة. التقي محبّ، محبته لله تصبح ملموسة لأنه يترجمها محبّة للآخرين. التقي يتخذ من صلاته قوّة تشدّد ضعفه. أما الذي يتمظهر بالتقوى فصلاته تصبح مصدر ضعفه لأنها مظهر من مظاهر تكبّره. صلاة المتمظهر بالتقوى تعلن له زيف نفسه وعظيم ريائه.

ولكن، لكي لا يظن أحدنا أن الصلاة والعبادة والطقوس لا علاقة لها بالتقوى الحقيقية، علينا أن نوضح أنّ زيف العبادة يُبعد صاحبه عن التقوى الحقيقية. الصلاة المرتكزة على الذات هي عبادة تقوية زائفة، أما الصلاة التي تسعى إلى أن يكون الله مركزها وغايتها هي التقوى المسكوبة على الرجاء والمشعة فرحاً. الصلاة قوة الضعفاء وضعف الأقوياء. «الرب يحب الحق ولا يتخلى عن أتقيائه» (مز ٣٧: ٢٨).

المعمودية عند القديس غريغوريوس اللاهوتي

«انني أسلمكم هذا الإعلان العقائدي عن الثالوث القدوس، وهذا الإعلان يجب أن تحفظوه طيلة حياتكم كمرشدٍ وحامٍ لكم ألا وهو: ألوهة واحدة وقدرة واحدة، موجودة في الثلاثة ضمن الوحدة،

يرى السقطة يفكر ان الصنم، الفكرة التي كوّنها عن نفسه قد انسحقت، وبكلمة مختصرة يشعر ان كبرياءه قد انجرحت. ويحزن الآخر لأنه أخطأ ومن جراء خطئه سيخسر الجوائز السماوية، ويحزن الثالث لأنه يفكر بالحساب الذي سيقدمه في المجيء الثاني وبالدينونة الرهيبة التي تنتظر الخطأة. أما الذي تقدم روحياً وعاش عيشة مسيحية حقيقية فإنه يحزن، إذا أخطأ، لأنه بخطئه أهان المشرّع الإلهي الكلي الصلاح. وحيث ان المسيحي في نموه الروحي لا يتحرك بدافع الخوف من العقاب ولا بدافع الحصول على الجوائز، بل بدافع المحبة المسيحية، كذلك عندما يحزن للأعمال الخاطئة التي يقوم بها فإنه يحزن محبة بالله. كل المسيحيين الذين تحركهم دوافع الحزن السامية يُفضَّلون على غيرهم الذين يبكون وينوحون بدافع الكبرياء وحب الذات، لأنهم ينوحون ويحزنون من أجل المحبة الإلهية.

الحزن والدموع من أجل الخطيئة يجب أن يستهدفا غرضاً واحداً، اقتلاع الخطيئة والاستعاضة عنها

وهي تشمل كلاً من الثلاثة على حدة، إلا انهم غير مختلفين في الجوهر والطبيعة. لقاءٌ أبدي للكائنات الثلاثة الأبدية، على أساس ان كلاً منهم يُعتبر إلهاً بحد ذاته: كذلك هو الآب، كذلك هو الإبن، كذلك هو الروح القدس أيضاً. كل واحد متميز بخاصيته الشخصية، الثلاثة إلهٌ واحدٌ منظوراً إليهم معاً، كلٌ منهم إلهٌ لسبب تساويهم في الجوهر والثلاثة إله واحد» (تعليم عن الثالوث في عظة للقديس غريغوريوس اللاهوتي حول المعمودية المقدسة).

القديس غريغوريوس اللاهوتي الذي نعيّد له في ٢٥ كانون الثاني، يشكّل مع القديس باسيليوس الكبير والقديس يوحنا الذهبي الفم «الأقمار الثلاثة» الذين نعيّد لهم عيداً مشتركاً في ٣٠ كانون الثاني، وقد نالوا هذا اللقب لأنهم من أبرز آباء القرن الرابع وكانوا كالأقمار يعكسون نور الرب بتعاليمهم وقداستهم.

تميّز القديس غريغوريوس النزينزي (نسبة إلى مدينة نزينز التي كان والده أسقفاً عليها)، بطريرك القسطنطينية، بشخصية مميزة، فكان لطيفاً ومسالماً وأمضى معظم سنيه بالسكينة وبعيداً عن أعين الناس. سمو كتاباته ودقة تبصره اللاهوتي المتمثلان في عظاته لا نظير لهما. دُعي القديس غريغوريوس لاهوتياً لأنه تمتع بعمق فكري وذوق أدبي وفيض عاطفي، وقد استطاع أن يعبّر عن لاهوت الكنيسة التقليدي بلغة صافية وغنية ومتناسقة وواضحة. وبشكل خاص أحرز صفة اللاهوتي نتيجة عظاته اللاهوتية الخمس التي ألقاها في القسطنطينية والتي أوضح من خلالها الإيمان القويم حول سر الثالوث حين كانت الكنيسة تتخبط في بحر أمواج الهرطقات.

تمّ جمع كتاباته ومؤلفاته تحت ثلاثة عناوين:

+ عظات: وصل إلينا منها ٤٥ خطبة تعالج شتّى المواضيع الدينية واللاهوتية، هي روعة في الأداء والمضمون وعمق الأفكار.

+ رسائل: تُعتبر أمثلة في الوضوح والإيجاز، بعضها يحوي تعاليم لاهوتية.

+ قصائد: كتبها غريغوريوس في أعوامه الأخيرة وهي مؤلّفة من أبيات شعرية جميلة ومؤثرة.

المعمودية هي أحد المواضيع الهامة التي تناولها القديس غريغوريوس اللاهوتي في عظاته وذلك نظراً للأهمية التي يكتسبها سر الولادة في المسيح الذي يتطلّب من المعتمد إيماناً نقياً مستقيماً لا اعوجاج فيه. يعلّم القديس غريغوريوس ان الله الذي أوجد ما لم يكن موجوداً، يحوّل في المعمودية الموجودَ إلى خليقة جديدة هي أقدس وأرفع شأناً مما يكون عليه الإنسان عند ولادته الجسدية. الولادة الجديدة بالمعمودية هي ضمانة للأطفال وموهبة للناضجين وشفاء للصورة الإلهية التي أظلمتها الخطيئة في الإنسان. أما في ما يختص بمعمودية الأطفال فهو ينصح الأهل والأم بشكل خاص ألا تعطي الخطيئة فرصة بل أن تعطي طفلها التقديس باكراً عبر تكريسه بالروح القدس. انه يصف الأم التي تخشى أن تمنح طفلها نعمة المعمودية، كونه ذا طبيعة ضعيفة، بالجبانة وقليلة الإيمان. كم نلاحظ في أيامنا هذه ان بعض الناس

بالصحة الروحية. ولا يتحقق هذا إلاّ بالحزن من أجل الله لأن هذا الحزن هو تعبير صريح عن محبته. الذين يحزنون من أجله يطلبونه بكل قلوبهم وهم الذين كتب عنهم النبي داود «يطلبون الله بكل قلوبهم» (مز ١٨: ١٢)، وهم السائرون في ناموس الرب (مز ١١٨: ١)، العائشون بمحبة حقيقية من أجل الله ويستهدفون من حزنهم شيئاً واحداً، الوصول إلى توبة صادقة ليتحرروا من كل خطيئة تسود النفس. هؤلاء لا يصلون إلى أي تطرف لأنهم يعرفون إلى أي مدى يجوز الحزن من أجل الخطيئة.

من المعروف ان الفضيلة البشرية تهدف إلى ربط الإنسان بالله أما الخطيئة فتبعده عنه. لا يحب الفضيلة محبة حقة الذين يرغبون بالفضيلة بدوافع غير دوافع محبة الله. وكذلك الذين يحزنون على خطاياهم بدافع غير دافع إهانتهم لله. هؤلاء لا يحبون الله ولا يكرهون الخطيئة فعلاً وعندما يتجنبونها بالعقل والعمل لا يتجنبونها بنية صادقة.

القديس نيقولا كاباسيلاس

يؤخّرون معمودية أطفالهم بحجة انهم صغار جداً وهم لا يعلمون انهم يعرّضونهم لخطر فقدان نعمة الولادة الجديدة إذ إن أحداً لا يستطيع ضمان تأخر الموت. يعتبر القديس غريغوريوس ان الإنسان يضيف خطيئة إلى خطاياه عندما لا يحترم ويوقّر سر المعمودية كعطية من الله ويتعامل مع هذه العطية كأية هدية يقبلها إذا مُنحت له ويهملها إن لم يحصل عليها. إما الذين ماتوا ولم يعتمدوا إما لأنهم كانوا أطفالاً أو لأسباب خارجة عن إرادتهم فيعتبر انهم لن يُدانوا ولكنهم أيضاً لن يُمجَدوا. ويعطي مثالاً على ذلك قائلاً: «ان كنتَ تستطيع أن تحاكم إنساناً كان ينوي أن يقتل أحداً فقط على نيته دون أن يكون قد حصل أي جرم، عندها بإمكانك أن تحسب مَن لم ينل المعمودية ورغب فيها كأنه نالها».

إذا أراد المرء أن يفهم تعاليم القديس غريغوريوس على ضوء العصر الذي نعيش فيه، يجد ان بعض العادات التي كانت سائدة في عصره لم تعد موجودة كعادة تعميد الكبار لأن الديانة المسيحية بدأت آنذاك بالإنتشار بشكل واسع، بعد الإضطهادات التي عانى منها أتباعها، وكان الكبار الذين ينضمون إلى المسيحية يقتبلون المعمودية بعد تعلّم أسس الإيمان. بيد اننا أصبحنا نواجه مشاكل أخرى مثل اقدام الأهل على تعميد أولادهم أحياناً دون أن يدركوا ما يستلزم الأمر من متابعة وتعليم وتنمية في الإيمان. قلة الوقار التي تحدث عنها القديس غريغوريوس تظهر في بعض الأحيان عندما يختار الأهل عرابين لأولادهم لا يعرفون حتى دستور الإيمان أو لا يأتون إلى الكنيسة إلا في المناسبات أو حتى لا يبدون استعداداً للتعلّم، فكيف سيُعلّمون من تعهدوا تعليمهم إيمان الكنيسة؟

مَن ينال نعمة سر المعمودية يلبس المسيح كما يقول بولس الرسول، أي يلبس الإله المتجسد وهذا ليس بالأمر البسيط. من هنا نفهم محاولة القديس غريغوريوس اللاهوتي مع سائر آباء الكنيسة تنبيهنا ألا نتعامل مع هذا السر بعدم مبالاة أو قلة وقار حتى لا نضيف إلى خطايانا خطيئة بل نستنير بنور المسيح بنعمة الروح القدس فنصبح بالولادة الجديدة أبناءً لله بالتبني.

عيد الأقمار الثلاثة

بمناسبة عيد الأقمار الثلاثة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح السبت ٣٠ كانون الثاني في كنيسة القديس جاورجيوس – الرميل وسيُصار إلى تكريس هذه الكنيسة المقدسة قبل القداس الإلهي مباشرةً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb